مراجعة الكتب

Challenging Conventional Wisdom: Debunking the Myths and Exposing the Risks of Arms Export Reform edited by Tamar Gabelnick and Rachel Stohl. Federation of American Scientists (<http://www.fas.org>), 1717 K Street, NW, Suite 209, Washington, DC 20036, and Center for Defense Information (<http://www.cdi.org>), 1779 Massachusetts Avenue, NW, Washington, DC 20036223 ,2003 ,2109- pages, \$25.00.

من الصعب مراجعة كتاب بعنوان "التحدّي للحكمة التقليدية" [التحدّي للحكمة التقليدية]: فضح الزيف في أساطير إصلاح تصدير الأسلحة وكشف أخطاره" ومحرّرا الكتاب هما تمار غابيلنيك وريتشل ستول¹. أليس من واجبنا - برغم كل شيء - أن نتحدّي الحكمة التقليدية؟ أليس علينا أن نصقّق للذين يفعلون ذلك وإلا سنعرّض أنفسنا لخطر أن نُعتبر من الذين يكرهون التقدّم؟ وأحسّ تقريبا بأنّه من الواجب عليّ أن أقوم بإعادة الشروع باستجواب غاليليو قبل أن أراجع وأنقد مثل هذا الكتاب. (يا غاليليو. أنت في أمان. فسأقوم فقط بمعالجة الكتاب ومؤلفيه.)

الحكمة التقليدية التي يشير عنوان الكتاب اليها قلّما هي تقليدية. وينقد الكتاب الفئة المعيّنة صغيرة العدد نسبياً من الناس الذين يطمحون الى أن يقوموا بإصلاح تصدير الأسلحة - يعني أولئك الناس في الحكومة والصناعات الحربية وحتى في القوات المسلحة الذين رأبهم أنّه على الولايات المتحدة أن تقوم بإصلاح مراقبة التصديرات. اما المحرّران فمقدّمتهما أنّ "الإصلاح" حقيقةً يعني "إرخاء التقييدات" وأنّ الإصلاح غير مرغوب فيه من أساسه. وبالمناسبة، هذه في حقيقة الأمر "حكمتها التقليدية".

يشمل كتاب "التحدّي للحكمة التقليدية" مقالات بقلم أفراد في الجامعات والحكومة والمنظمات التي تقوم بالأبحاث العلمية التي لأعضائه عادةً درجة معيّنة من التحيز الى الليبرالية وأيضاً أفراد في مجال الصحافة والخدمة العسكرية. وبعض المقالات هي ذات التفكير وتطرح نقاطاً مهمّة يستطيع غير المتخصّصين فهمها وتقديرها بينما البعض الآخر مقالات حادة النغمة حاملةً على المقدّمة نفسها أنّ الولايات المتحدة يجب عليها أن ترتبط بميدان المبيعات العسكرية الخارجية [ف.م.س.]² مشجّبة الأرباح التي تكسبها الشركات الدفاعية ومقلّلةً من شأن الذين يعتقدون أنّ النظام تقييدي جداً. وبالإضافة الى ذلك فإنّ هذه المقالات أحياناً مكتوبة فقط لفئة معيّنة من الناس وتستهدف مجموعة ضيقة جداً من القراء الملمّين بالعالم الملغز لمراقبة الأسلحة ولا يستطيع أن يفهمها القراء

غير المتخصصين الذين ليسوا مطلعين لا على المبيعات العسكرية الخارجية ولا على المراقبة والتحديات نافذة المفعول حالياً.

ويقدم الفصلان الأول والأخير - واللذان كتبهما المحرران - موجزات لكل المقالات. ومن المحتمل أنّ القراء الراغبين في استهداف مجالات اهتمام معيّنة سيجدونها مفيدتين جداً. أما الجزء الأول من الكتاب فـ"ينظر بدقة في الأساطير التي يروجها مُصلحو مراقبة التصديرات باستمرار" (ص ١٧) وهي الآتية: (١) الصناعات الحربية في ورطة وحتاج الى إعانات مالية من الحكومة الأمريكية بالإضافة الى إرخاء مراقبة التصديرات حتى تستطيع أن تنافس في المضمار العالمي. (٢) تضرّ المراقبة الحالية الأمن القومي للولايات المتحدة لأنها تمنع عملية التعاون والتفاعل مع قوات أجنبية وتضع حاجزاً أمام تطوير التكنولوجيات المتطورة جداً للقطاع العسكري الأمريكي. (٣) تسمح تصديرات الأسلحة للحكومة الأمريكية بأن تؤثر على السياسات الداخلية والخارجية لدول أخرى. (٤) إذا لم تحدث تغييرات جذرية فإنّ حلفاءنا سيبدأون بالبحث عن الأسلحة في مكان آخر (ص ١٦). أما هذا الجزء من الكتاب فهو غير مستو بصورة عامة وحجّته المستمرة أن المسائل الاقتصادية أهمّ من الهموم الأمنية. ولا تنطبق هذه الفكرة على النظام نافذ المفعول حالياً مع أنني أفترض. في سياق النظر في ما يقترحه بعض المصلحين. أنّه صحيح القول إنّ مسائل الاقتصاد تظلّ أهمّ قضية بالنسبة لهم.

أما بعض الفصول فهي تثير المخاوف بدون داع وهي متحيّزة ويبدو أنّها تتهجم ليس على المصلحين فقط بل أيضاً على النظام الحالي لتصدير الأسلحة. فمثلاً، الفصل الثاني - مقال "دعم صناعة الأسلحة: الإعانات المالية من الحكومة الأمريكية لتجارة الأسلحة" بقلم جوسف فيفر - يشجّب الحكومة الأمريكية بسبب ترويجها لمبيعات الأسلحة. ولكنّ المقال لا يشرح لماذا يجب على الحكومة ألاّ تدعم مبيعات الأسلحة ويعتبر أنّه من البديهي أنّ هذا الدعم شيء سيئ أو شرير من أساسه (وربّما هذا من "الحكمة التقليدية" للمؤلف). ويجب على المؤلف - حتى تكون هذه المادّة مفيدة - أن يعرض حجج الحكومة لدعم تجارة الأسلحة ثمّ عليه أن يردّ عليها. إنّ الولايات المتحدة تؤيد وتسوّق وتروج مبيعات الأسلحة بغية زيادة الإمكانات للوصول في داخل الدولة الزيوت وأيضاً حتى تتعاون وتتفاعل معها وتؤثر عليها. وتدعم حكومتنا المصالح التجارية أيضاً لأنّ فرص العمل أيضاً مهمّة للاقتصاد الأمريكي. فيجب على المؤلف أن يشرح لماذا تسعى الحكومة وراء هذه الأهداف ومن ثمّ. إذا كان مناسباً. يعالج مسألة لماذا هذه الأهداف والمصالح الاقتصادية غير ملائمة أو لماذا الوسائل المتبعة غير ناجحة.

تظهر بعض الفصول الأفضل في ما بعد. ففي الفصل الرابع. بعنوان "تصديرات الأسلحة الأمريكية والتعاون والتفاعل: التقاتل مع بعض" بقلم العقيد المتقاعد من الجيش الأمريكي دانيال م. سميث. يشير المؤلف الى أنّ الجانب "الأنعم" من القدرة العسكرية تستطيع أن

تكون أهمّ من المعدّات الحربية المتطوّرة. والمقصود من ذلك أنّه. إذا أرادت الحكومة الأمريكية أن تساعد دولة أخرى في تحسين قدراتها وإمكانياتها فيجب أن ننظر في التدريب في تلك الدولة وفي تنظيمها وعقيدتها وتكتيكها لأنّ كل المعدّات الحربية الجديدة واللامعة الموجودة في الكون لا فائدة لها في حالة عدم وجود الأشخاص المتدريين في إدارتها. ولكن كثيراً ما حدث في الماضي أنّ الولايات المتحدة قد روجت المعدّات الحربية بدون أن تقدّم الدعم لها. والحقيقة أنّ هذه السياسة بدأت تتغيّر الآن. ولكن بالرغم من أنّ الذين يعملون في مجال المبيعات العسكرية الأمريكية للخارج يعرفون أنّ هذه المشكلة موجودة فإنّها لا تزال تحدث وهذا جزئياً لأنّ الدول الزبائن أحياناً تهمل مراعاة نصيحة حكومتنا.

الجزء الثاني من الكتاب أكثر توازناً ويقدم حججاً بخصوص فوائد الإصلاحات المقترحة للتصدير وكذلك ينظر بدقة في الأخطار الكامنة لهذه الإصلاحات. وتتعلّق أهمّ هذه الأخطار الحقيقية للغاية بإضعاف المصالح الأمنية للولايات المتحدة بواسطة السماح بانتشار الأسلحة في دول يجب عليها ألاّ تخوّفها أو لا تستطيع ضمان أمنها. أما تصدير الأسلحة الى دول تعجز عن أن تضمن بأنّها لن تحيلها الى دولة أخرى أو الى ممثّل غير مرتبط بدولة ما فهذا تقريباً عمل سيّء لنفس الدرجة مثل عرض الأسلحة للبيع في السوق المفتوحة حيث يستطيع أيّ أجنبي أن يشتريها. وهذا القسم من الكتاب أحياناً يثير المخاوف بدون داع. في المقال "جارة لها أخطار: الاستدلالات المضمّنة للأمن نتيجة لإصلاحات تصدير الأسلحة" بقلم جيسون مايرس¹ يؤكّد المؤلّف أنّ حصول الإرهابيين على أسلحة الدمار الشامل سيكون "النتيجة التي لا بدّ منها تقريباً من تنفيذ الاقتراحات" (ص ١٢٦). ولكنّ القسم الثاني أحياناً أخرى - عندما لا توشك السماء أن تقع على رؤوسنا - يتميّز بدرجة عالية من التفكير المعقول والقدرة على الإقناع. "يجب على إصلاح السياسة أن يسبق إصلاح العملية" حسب قول جوسف ب. سمالدون الذي يُظهر أخطار تصدير الأسلحة الى المناطق المليئة بالنزاعات في مقاله "الأخطار للسياسة الخارجية من إصلاحات تصديرات الأسلحة"^٢ (ص ١٣٢). والحقّ معه تماماً.

وينظر الجزء النهائي من الكتاب في اقتراحات بديلة للإصلاح ويقدم موجزات جيّدة للأنظمة الحالية لمراقبة الأسلحة أمثال "اتّفاق واسنار"^٣ و"النظام لمراقبة تكنولوجيا الصواريخ" (م.ت.سي.ر.)^٤. كما أنّه ينظر بدقة في التيارات المتطوّرة مثل تصديرات المركبات الجوية غير المزوّدة بالملاحين والتي قد زادت شعبية عقب نجاحها في أفغانستان والعراق. وأنصح القراء بأن يطالعوا هذا الجزء من الكتاب إذا كانوا يبحثون عن معرفة عامّة عن م.ت.سي.ر. وأنظمة أخرى لمراقبة الأسلحة.

كتاب "التحدّي للحكمة التقليدية". بالرغم من أنّه يقدم بعض المقالات المهمّة. إلاّ أنّه كتاب متحيّز ومتخصّص أكثر من اللازم للجماهير الواسعة من القراء في القوات الجوية. ويلاحظ المحرّران في بداية الكتاب أنّ "أمن الولايات المتحدة ومصالح سياستها الخارجية دائماً يجب

أن تكون أهمّ من الشؤون الاقتصادية" (ص ٢٢). وهذا القول صحيح. ولكنّه من المؤسف أنّ الكتاب يحاول أن يُظهر أنّ أي كسب من قبل مفاول يعمل للصناعات الحربية هو من تلقاء نفسه ضدّ مصالحنا الأمنية. والأمر ليس كذلك لأنّ مراقبة التصديرات شيء ضروري ولذلك فنحن الذين نعمل في مجال تجارة الأسلحة يجب علينا أن نأخذ هذا الشيء مأخذ الجدّ لحماية المصالح الأمنية للولايات المتحدة. ويركّز الكتاب على رغبة قادة الصناعات الحربية الذين يرتأون أنّ إرخاء مراقبة التصديرات يمثّل مصلحتنا العليا. ولكن هذا ليس من الحكمة التقليدية للذين يعملون في مضمارنا فيراجعون التصاريح للتصدير ويتعاملون مع حلفائنا وأصدقائنا وزبائننا حول العالم والذين هم مسؤولون - ليس عن الدعم لصناعة الأسلحة في أمريكا - ولكن للعمل في صالح المصالح الأمريكية. وفي رأينا أن الأولوية تكون دائماً للأمن القومي.

مقدّم ستيفن بيسون, القوات الجوية الأمريكية
واشنطن دي. سي.

Reviewer: Lt Col Steven Payson, USAF
Washington, D.C.

Notes

1. "Challenging Conventional Wisdom: Debunking the Myths and Exposing the Risks of Arms Export Reform," edited by Tamar Gabelnick and Rachel Stohl
2. Luddites
3. FMS (foreign military sales)
4. "Supporting the Arms Industry: U.S. Government Subsidies of the Arms Trade," by John Feffer
5. "U.S. Arms Exports and Interoperability: Fighting with Each Other," by Daniel M. Smith, USA, retired
6. "Risky Business: The Security Implications of Arms Export Reforms," by Jason Meyers
7. "Foreign Policy Risks of Arms Exports Reforms," by Joseph P. Smaldone
8. The Wassenaar Arrangement
9. The Missile Technology Control Regime (MTCR)